الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النـورمان بـين التسامح والاضطهاد ٤٤٤ - ٥٩١هـ / ١٠٥٣ - ١١٩٤م

د. علي محمد الزهراني
الأستاذ المساعد بقسم الحضارة والنظم الإسلامية
كلية الشريعة - بجامعة أم القرى

ملخص البـحث

بذل المسلمون محاولات عدة لفتح جزيرة صقلية الواقعة في البحر المتوسط ، واستمرت تلك المحاولات حتى تحقق لها النجاح في بداية القرن الثالث الهجري . ولأهمية موقع الجزيرة الاستراتيجي فقد بذلت محاولات عدة لاستعادتها حتى سقطت في أيدي النورمان سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م ، وخرج منها عدد كبير من المسلمين ، واستقروا في البلدان الإسلامية الأخرى ، وبقي فيها عدد آخر لا بأس به . وكان بين من بقي فيها علماء وأدباء وشعراء فضلاً عن بعض العامة . والحالة تلك نجد أن النورمان انتهجوا طريقتين متناقضتين في التعامل مع المسلمين فهم يتسامحون معهم في الوقت الذي يرون فيه أن المسامحة تحقق لهم مصالحهم . وهذه الطريقة أخذت مظاهر شتى تمثلت في رعاية العلماء والأدباء والشعراء ، واتخاذ الأعوان من المسلمين كما حدث في قصور الحكام النورمان . وفي المقابل انتهج النورمان طريقة أخرى في التعامل مع المسلمين ، من أهم مظاهرها محاولات التنصير ، وتضييق الخناق عليهم في أداء بعض شعائرهم الدينية كمنعهم من صلاة الجمعة مثلاً ، وفرض الجزية عليهم ، واتخاذهم عبيداً يعملون في الأرض .

كما أنه ومن خلال هذا الوجود الإسلامي في جزيرة صقلية حاول النورمان الاستفادة من حضارة وعلوم ومعارف المسلمين ، وقد اتخذ ذلك مظاهر شتى .

وهذه الطريقة وتلك وذلك الوجود والاستفادة منه هو ما بحثته هذه الدراسة وذلك على ضوء المصادر المتخصصة واستقراء معلوماتها .

• • •

مقدمة :

لا يعرف الجيل الصاعد عن صقلية اليوم إلا أنها مركزٌ من مراكز نشاط المجرمين والخارجين عن القانون لكثـــرة ما يتردد اسمها من خلال وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعـــة والمقـــروءة باعتبارها مقراً لما يعرف اليوم في عالم الجريمة باسم " المافيا "

ولا يعرف عنها أولئك شيئاً مما كان للمسلمين فيها من نشاط فكري وعلمي جعلها مركزاً مهمـــا من مراكز الحضارة الإسلامية لمدة تقرب من خمسمائة سنة ، أكثر من نصفها كانت تحـــت السيـــادة الإسلامية ، إذ أصبحت بذلك من أهم معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربـــا فـــي عصورهـــا الوســـطى المظلمة .

وقد كنت كتبت قبل هذا البحث بحثاً يؤرخ للحياة العلمية في صقلية الإســـلامية مـــدة ســـيطرة المسلمين عليها والتي استمرت من الفتح في سنة ٢١٢هـ / ٨٢٦م ، إلى بداية اســـتيلاء النورمـــان عليها سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م وبالتالي سقوط آخر معاقلها ســـنة ٤٨٤هـــ / ١٠٩١ [(١)] ، وقـــد رأيـــت هنا ومن خلال هـــذا البحث أن أبيـــن ما كان عليـــه حال المسلمين بعد سقـــوط صقلية ، في عهد النورمان الذي استمـــر من سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢م إلى سنة ٥٩١هـــ / ١١٩٤م ، لأن دينا كالدين الإسلامي ، وحضارة كحضارة المسلمين لا يمكن أن تزول من أي بلد وصلت إليه بمجـــرد استيلاء غير المسلمين عليه ، وذلك لأن هذا الدين بجميع مبادئه وأهدافه وسلوكياته ، وتلك الحضارة الرائعة بجميع خصائصها ومميزاتها، ولّد قناعةً لدى أولئك المستعمرين بالاستفادة من كل ذلك ، مـــع ملاحظة أن ذلك البقاء لأولئك المسلمين لابد وأن يمر بحالتي التسامح والاضطهاد ، وهـــــــذا مـــا أثبتته هذه الدراسة إلى جانب ما أثبتته من استفادة ذلك الغير من حضارة وعلوم ومعارف المسلمين .

وقبل الشروع في الحديث عن الوجود الإسلامي في صقلية خلال العصر النورماني كان لا بد من الحديث بإيجاز عن الفتح الإسلامي لصقلية وسقوطها من خلال هذه المقدمة المختصرة حتى يمكن لنـــا أن ندرك مدى المعاناة التي لقيها المسلمون أثناء عملية الفتح التي استمرت مدة طويلة من الـــزمن ، فاقت المدة التي أمضاها المسلمون في عملية فتح الأندلس .

ثم الحديث بعد ذلك عن هوانها على القادة المسلمين في فترة الفوضـــى والاضـــطراب وبالتالـــي سقوطها في أيدي النورمان ، واستغلال أولئك للفرصة المتاحة أمامهم التي كانوا ينتظرونها والقضـــاء على السيطرة الإسلامية عليها .

وإذا اتضحت تلك الصورة في الأذهان كان الدخول في الحديث عن مظاهر الوجود الإسلامي فـــي صقلية بعد سقوطها أمراً يبدو مهماً يتضح من خلاله تفوق الحضارة الإسلامية إذ أثبتت وجودها رغـــم عدم استمرارية سيطرة المسلمين على تلك البقاع ، وعلى الرغم من عدم تيسر الأوضاع التي يمكن أن يبدع فيها المسلمون ، اللهم إلا في بعض حالات سنذكرها من خلال هذه الدراسة .

وصقلية الإسلامية ليست إلا نموذجاً من كثير من النماذج الإسلامية التي لم يبق فيها للمسلمين إلا إشارات تدل على أنهم كانوا هناك .

وتعد صقلية أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الذي يعرف في المصادر القديمة ببحر الـــروم[(٢)]، إلى الجنوب من إيطاليا ، ولا يفصلها عنها إلا مضيق صغير . وتبعد عن شمال أفريقية بحوالـــي ١٦٥ كيلا ، وهي مثلثة الأضلاع ، وتبلغ مساحتها حوالي (٢٥٨١٥) كم٢ [(٣)] .

ومن أهم مدنها : (بلرم) والتي كانت تعرف بالمدينة الكبرى ، ومدينة (الخالصة) الـــتي بناهـــا المسلمون بعد الفتح لتكون مقراً للحكم ، ومدينة (مسيني) ، ومدينة (طبرمين) ومدينة (سرقوســـه)

ومدينة (مازر) [٤].

وجزيرة صقلية تتميز بموقع استراتيجي مهم ، جعل الدول تتسابق على امتلاكها حيث حكمها الرومان والبيزنطيون والمسلمون ، فالنورمان ، ثم أصبحت بعد ذلك ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

فقد كانت صقلية خاضعة للحكم الروماني مدة طويلة من الزمن ، إلى أن تمكن القوط الشرقيون من الاستيلاء عليها في سنة ٤٩٣م ، ثم أعيدت إلى حوزة الدولة الرومانية في عهد جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) [٥].

وقد حاول المسلمون فتحها ، وارتبطت تلك المحاولات بنمو البحرية الإسلامية الذي بدأ في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتحديداً في موقعة ذات الصواري سنة (٣١هـ / ٦٥١م) [٦].

وقد استمرت المحاولات الإسلامية لفتحها ما يقرب من قرنين من الزمان ، حيث ورد أول ذكر لغزو صقلية في المصادر الإسلامية في حوادث سنة (٣٢هـ / ٦٥٢م) [٧]

ولم ييأس المسلمون من محاولات الفتح ، فقد ذكرت المصادر ما يقرب من عشرين محاولة لفتح جزيرة صقلية وقعت بين عامي (٣٢ – ٢١٢هـ / ٦٥٢ – ٨٢٧م) [٨].

وأخيراً تمكن الأغالبة في عهد أميرهم زيادة الله الأول [٩] الذي حكم بين سنتي(٢٠١–٢٢٣هـ/ ٨١٦–٨٣٧ م) من فتح جزيرة صقلية فعلياً بواسطة القائد أسد ابن الفرات [١٠] وذلك في سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م)[١١] .

واستمر جهاد الأغالبة وحكمهم في صقلية إلى سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، حيث تمكن الفاطميون بواسطة داعيتهم أبي عبد الله الشيعي [١٢] من هزيمة آخر أمراء الدولة الأغلبية زيادة الله الثالث [١٣] ، ودخول عاصمتهم مدينة " رقاده " [١٤] ، حيث أصبحت صقلية تحت السيطرة الفاطمية ، إلا أنهم منحوا الولاة الكلبيين [١٥] حكم صقلية بداية من سنة (٣٣٦هـ / ٩٤٧م) ، حيث توارث الكلبيون الحكم بها خلفاً عن سلف[١٦]، إلى أن بدأت فترة الفوضى واستقلال كل والٍ بما لديه ، وبالتالي التمهيد لسقوطها في أيدي النورمان ، سنة ٤٤٤هـ وذلك عندما احتدم الخلاف بين حكام صقلية من الأسرة الكلبية ، واستغلالهم للصراع العنصري الموجود بين سكان الجزيرة ، فهذا جعفر بن يوسف حاكم صقلية (٣٨٨-٤١٠هـ / ٩٨٨-١٠٠٩م) يختلف مع أخيه علي بن يوسف . فيستغل الأخير الصراع العنصري الموجود في الجزيرة لمصلحته ، ويستميل العبيد ، والبربر [١٧] إلى جانبه ، مما اضطر معه الأمير تاج الدولة جعفر إلى مقاتلتهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أخاه علي ثم قتله ، بل تعدى الأمر ذلك فأمر بنفي البربر من الجزيرة وقتل العبيد [١٨] .

أما حاكم صقلية أحمد بن يوسف المعروف " بتأييد الدولة " (٤١٠-٤٢٧هـ / ١٠٠٩ – ١٠٣٥ م) فقد اتبع سياسة التفرقة بين أهل صقلية ، وأهل أفريقية ، حيث درج على تأليب أحد الفريقين على الآخر والعكس [١٩] ، ظناً منه أن ذلك يمكنه من السيطرة عليهم ، فكان العكس هو النتيجة .

ذلك أن تلك السياسة جعلت أهل الجزيرة يستنجدون بالمعز بن باديس الزيري[٢٠] (٤٠٦-٤٥٣ هـ / ١٠١٥-١٠٦١م) مما آل إليه حالهم مع حكامهم من الأسرة الكلبية، قائلين له : (نحب أن

نكون في طاعتك وإلا سلمنا الجزيرة للروم) [٢١] .

واستجاب الزيريون لطلب أهل صقلية ، فدخلها عبد ا بن المعز بن باديس الزيري علـى رأس جيش كبيـــــــر ، والنتيجة ، قتل أمير صقلية ، ثم بعد ذلك يثور الصـقليون علـى الأمـــير الزيري ويخرجونه من صقلية ، حيث تقاسمها الولاة بعد ذلك [٢٢] .

فهذا القائـــد عبد ا بن منكود يستقل بمدينتي (مازر وطرابنش) ؛ وعلي بن نعمة المعـروف بابن الحواس ينفرد (بقصريانة وجرجنت) وغيرهما ، أما ابن الثمنه والذي لقـب نفسـه (بالقـادر با) فقد سيطر على مدينتي (سرقوسة وقطانية) [٢٣] إلا أن الأخير كانت له السيادة والريادة بصفة عامة على جزيرة صقلية [٢٤] .

وتأتي الفرصة المناسبـــة لبداية سيطرة النورمـــان على صقلية أثر الخلاف الذي حدث بيـن ابن الثمنة ، وابن الحواس [٢٥] ، حيث هانت البلاد على ابن الثمنة ليستنجد بالنورمـان علـى ابـن الحواس سنة (٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) قائلاً لهم : (أنا أملككم الجزيرة) [٢٦] .

ويستغل النورمان تلك الفرصة ، ويتحرك روجر النورماني من مدينـة (مليطـو) فـي إيطاليـا الجنوبية ، ومعه ابن الثمنه ، ليسيطر النورمان على ما مروا عليه في طريقهم دون مقاومـة تـذكر [٢٧] .

ويحاول الزيريون مجدداً إنقاذ صقلية ، فيرسلون إليها أسطولاً ضخماً ، مشحوناً بالرجال والعتاد ، فتستقبله الريح في البحر وتغرقه [٢٨] ، لتستمر بذلك الفرصة متاحة للنورمان في الاستيلاء على مدن ومعاقل صقلية ، واحدة تلو الأخرى .

وتسقط جميع مدن صقلية بآخر معاقلها سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ، ويملكها روجر النورمـاني ، ويسكنها الروم والفرنج مع من بقي من المسلمين [٢٩] .

وبذلك سيطر المسيحيون على البحر المتوسط كأكبر نتيجة ترتبت على سقوط جزيرة صقلية ، ولم نعد نرى الوقت الذي وصف فيه ابن خلدون النصارى بأنهم لا يستطيعون أن يطفوا لوحاً من الخشـب في هذا البحر [٣٠] .

ويستمر حكم النورمان لصقلية – على خلاف بين المؤرخين – من سنة (٤٤٤هــ / ١٠٥٢م) إلى تولي هنري السادس وزوجته كونستانس عرش صقلية سـنة (٥٩١هــ / ١١٩٤م) ، حيـث أصبحت ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية .

مظاهر الوجود الإسلامي في صقلية
في عهد النورمان

يجـدر بنا أن نشير هنا قبل الدخول في الحديث عن تلك المظاهر إلى الحديث عن مجتمع صـقلية ، فقد كان يتكون من المسلمين بعناصرهم المختلفة من العرب ، والبربر ، والفرس، ومن النصارى ، واليهود [٣١] .

وهذا التعدد في الطوائف السكانية ، وما يتبعه من اختلاف في العقائد والمذاهب ، والتوجـهات ، والطموحات ، كان لابد معه من تفكير ملي من جانب حكام صقلية الجـدد لمحاولـة السيطـرة علـى الجزيرة والخروج بها بعيداً عن الصراعات الدينية والعرقية ، والعنصرية.

وما يهمنا هنا بداية هو حال المسلمين مع أولئك الحكام النورمان ، فقد خرج روجر الأول وهـو أول حكام صقلية بعد سيطرة النورمان عليها ، بفكرة وسياسة بقاء المسلمين في صقلية .

وأسباب تلك السياسة لا تغيب عن أذهان المنصفين ، ذلك أن الإسلام بعقيدته ومبادئـه وأهدافـه وسلوكه ... هو دين الحياة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فهو الدين الذي يدعو إلى التسامح ، وإلى العلم ، والعمل ، والإخلاص والدقة فيهما .

والمسلمون هم الفئة المنتجة البناءة المخلصة في أي مجتمع يعيشون فيه ؛ كما أنهم الأكثرية في المجتمع الصقلي هذا من جانب وفي الجانب الآخـر فإن المسيطر الجديد (المستعمر) هـم أقليـه ، وليست لهم حضارة كحضارة المسلمين في ذلك العصر والتي شملت كل مجالات الحياة .

إذاً التسامح مع المسلمين هو الأفضل ، على الأقل في تلك الفترة الأولى بعد خروجها مـن أيـدي المسلمين ، ولكنه ليس تسامحاً مطلقاً بل اعتراه بعض صنوف الاضطهاد .

وقـد اتخذ ذلك التسامـح والاضطهاد ، مظـاهر شـتى من قبـل روجـر الاول (٤٦٣- ٤٩٥ هـ / ١٠٧١ – ١١٠١م) الذي وضع ما يمكن أن نسميه بالخطوط العريضة لسياسة النورمان تجـاه المسلمين في صقلية .

وتبدو لنا المعلومات بداية فيها نوع من التناقض ، ففي الوقت الذي تشير ف يه إلـى أنـه تـرك للمسلمين حريتهم الدينية ، ولم يعترض على إقامة تلك الشعائر ، ولم يعمد إلى القتل والتعذيب [٣٢] ، تذكر أيضاً أن من ضمن الإجراءات التي عملها هي تلك التي عمـد فيها إلى تحويل المسـاجد إلـى كنائس ، وتعيين رئيس أساقفة عليها ، وكان يونانياً [٣٣]

إما الإدريسي [٣٤] وهو ممن عاش في البلاط النورماني – مما سنتحدث عنه لاحقاً – فيقول عن روجر الأول ممتدحاً : (ولما صار أمرها – أي صقلية – إليه واستقر بها سرير ملكه ، نشر العدل في أهلها ، وأقرهم على أديانهم وشرائعهم ، وأمنهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم ، ثـم أقـام على ذلك مدة حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم) [٣٥].

ومن أهم ما أقدم على عمله روجر الأول لإثبات حسن نواياه تجاه المسلمين ، أنه سك عملة نقدية ، كتب على أحد وجهي تلك العـملة (لا إله إلا ا محمد رسول ا)[٣٦]. وقد يبدو الهدف من ذلـك هو ملاطفة عواطف المسلمين المغلوبين بعبارة هي رمز عزتهم ، وعماد دينهم ، فالإبقاء عليها مـن خلال العملة يوحي لهم بأن لهم مكانة بين شعوب الجزيرة من الأديان الأخرى ، وبالتالي يجـب علـى الفئات الأخرى أن تحترمهم ، أو على الأقل تكف عن إيذائهم .

وإذا عدنا إلى قول الإدريسي ، وهو ممن عاش في البلاط النورماني ، ففي رأيي أن كثـيراً ممـا قاله لا يخلو من المجاملة لأرباب نعمته إذ أن ما ذكره ليس على الدوام وهو يكتب ذلك بعد انتهاء فترة حكم روجر الأول وأثناء حكم روجر الثاني . وهنا ابن الأثير ، لا يوافق قوله معظـم مـا قـال بـه الأدريسي ، لأن ابن الأثير يرى أن المسلمين حرموا من كثير من ممتلكاتهم وأموالهم ، وعقـاراتهم ، فيقول عن روجر الأول : " وملك روجر جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلميـن ، ولـم يترك لأحد من أهلها حماما ، ولا دكانا، ولا طاحونا " [٣٧] .

وهنا يجب أن لا ننسى أنه بالأمس القريب وأثناء فترة الغزو النورماني على مدن ومعاقل جزيرة صقلية ، كان جيش روجر الأول وبأمر منه ، يضيق الخناق على المسلمين في مـدنهم وحصـونهم ، حتى أكلوا لحم الميتة ، كما حدث عند حصارهم لمدينتي قصر يانه وجرجنـت إذ بلـغ شـدة الحـال

بالمسلمين من جراء ذلك الحصار أن : (ضاق الأمر على أهلها، حتى أكلوا لحم الميتة ، ولم يبق عندهم ما يأكلونه) [٣٨] .

أما عن حالات التسامح التي دعت روجر الأول إلى القيام بها مع المسلمين في البدايـة فترجـع بعض أسبابها إلى انبهاره بحضارة المسلمين كما كان يريد أن يتخذ من صقلية نقطـة انطـلاق إلـى شواطئ أفريقية الشمالية الخاضعة لحكم المسلمين ، وذلك لن يتم إلا بمصادقة المسلمين الموجوديـن في الجزيرة ، وبالتالي يتحقق له ما يريد ، وعلى الأقل في الناحية الاقتصادية [٣٩] . ولعل مـا ذهـب إليه روجر الأول هنا هو ما يعرف اليوم في علم السياسـة بتأمين الجبهة الداخلية ، وهي مـن أهـم أسباب الاستقرار أو ضده . وطـرق ذلك متعدده ومن أهمها سياسة التسامح في بعض الحالات ولفترة مؤقتة .

وهنا يجب أن لا يغيب عن البال أن روجر الأول جاء معه إلى صقلية بنظام الإقطاع الذي يطـبق في أوربا ، والذي يقضي على حرية المالك الصغير ، ويصنف الناس إلى طبقات أعلاها الطبقة الحاكمة وأدناها رقيق الأرض [٤٠] ، وهذا النظام لم يعهده المسلمون الباقون في صقلية بعـد سـقوطها ، لأن دين الإسلام له مبادئه وضوابطه الخاصة فيما يتعلق بالملكية والعمل والأجرة وخلاف ذلك .

ولتأكيد ما يريد أن يطبقه روجر في صقلية فقد عقد اجتماعاً في مدينة (مازر) سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م بحضور أصحابه وخاصته ، وسلم كل واحد منهم صحيفة مكتوبة بالعربية واليونانية ، فيهـا وصف للأرض التي تخصه وبيان بعدد الفلاحين والأرقاء في أملاكه [٤١] .

وهذه الأراضي التي تم توزيعها على خاصته إنما هي لأناس مسلمين تم الاستيلاء عليها بالقوة أثناء غزو النورمان لصقلية .

ومما يعزز نظرة روجر الأول تجاه المسلمين وأنها غير سليمة على الإطلاق ما عمله في مدينـة (قطانيه) حين استولى عليها ، فقد جعل أهلها المسلمين أرقاء ، ومنحهم اقطاعاً للأسقف [٤٢] .

وإذا عدنا إلى ابن الأثير وآرائه فيما يتعلق بسقوط صقلية ومعاملة حكامها للمسلمين فإنه يـبدي الامتعاض الشديد لما آل إليه حال المسلمين من الاستعانة بالكفار وانعكاسات ذلك على حياة المسلمين في صقلية وخاصة في عهد روجر الأول [٤٣] .

ومن مظاهر معاملة روجر الأول لمسلمي صقلية ، أن معظم الأسرى الذي وقعوا في يـده أثنـاء غزو صقلية ، قد أرسلوا إلى إيطاليا وبيعوا عبيداً هناك [٤٤] .

وهناك وثيقة مكتوبة بالعربية ، واليونانية ، مؤرخة بسنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م تشير إلـى ذكـر أسماء ثلاثين عبداً مسلماً تابعين لكنيسة قطانية [٤٥].

أما ما يعرف في صقلية باسم " رجال الجرائد " فهم أولئك المسلمـون الكـادحون فـي الأرض ، والذين يشبه وضعهم وضع الرقيق ، ويرثه الأبناء عن الآباء ، وكان هذا النوع من الإسترقاق موجوداً في عهد روجر الأول ، وقد ضمت تلك القوائم أسماء أعلام مسلمين مثل : محمد ، وعلي ، وعبد ا ، كما ضمت أسماء أعلام يونانية ولاتينية [٤٦] .

كما دفع المسلمون الجزية لروجر الأول إلى جانب اليونان ، حيث نقل احسان عباس ذلـك عـن أماري في تاريخ المسلمين في صقلية إذ يقول : " وليس في صقلية من يـدفع الجزيـة السنويـة إلا المسلمون واليونان ، وهم وحدهم الذين يلحقهم اسم الأرقاء أي رجال الجرائد " [٤٧] .

ورجال الجرائد هؤلاء لم يكونوا يتمتعون بالحرية الشخصية بل مطلـوب منهـم تأدية الخدمـة العسكرية متى ما طلب منهم ذلك ، كما كانوا يخضعون لنظام السخرة في العمل(٤٨) .

وفي مقابل رجال الجرائد ، كان هناك الأفاضل ، وهم الأحرار من المسلمين يحـق لهـم امتـلاك الأراضي مع حرية التصرف بممتلكاتهم ، " ومن بينهم موظفون مدنيون يختصـون بشئـون الهبـات والـوصـايا والبيع والعـقود ... وكانوا يساعدون القضاة والموثقين ، كما كانوا في بعض الأحيان يتولون التحكيم بين الأطراف المتخاصمة " (٤٩) .

وفي عهد روجر الثاني (٤٩٤ – ٥٤٩ هـ / ١١٠١ – ١١٥٤م) تتخذ سياسـة التعامـل مـع المسلمين وضعاً أفضل مما كانت عليه في عهد روجر الأول ، وذلك لشغـف روجـر الثـاني بمدنيـة المسلمين وعلومهم وفنونهم وتراثهم فقـد كان من أشد الحكام النورمان تعلقاً بالمسلمين وتـراثهم ، وفي ذلك يقول ابن الأثير عنه (٥٠) :

(سلك طريق المسلمين من الجنائب (٥١) ، والحجاب (٥٢) ، والسلاحية (٥٣) والجاندارية (٥٤) ، وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فإنهم لا يعرفون شيئاً منه) .

ولك أن تتصور حاكماً غير مسلم جنائبه وحجابه والمسؤولون عن سلاحه وملابسـه كلهـم مـن المسلمين ، إن ذلك أمر له دلالته ، ولو لم نخرج منه إلا بما يدلنا على عدل الإسلام وسماحته وعالمية مبادئه ونزعاته لكفى .

وتـزداد العلاقة الحسنة بين المسلمين وحاكم الجزيرة روجر الثاني النورماني ، فيسمح بإنشـاء ديوان المظالم ترفـع إليه شكوى المظلومين ، فيطلع على تلك الشكاوي ، وينصف المسلمين ولو كان المخطئ ولده ، ويرى إبن الأثير أن ذلك في غاية الكرم إذ يقول : (وجعل له ديوان للمظالم ترفع إليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين ، وقرّبهم ومنع عنهم الفرنج) (٥٥)فكانت نتيجة ذلك التعامل مع المسلمين ، أن المسلمـين (أحبوا) (٥٦)روجر النورماني .

ومن مظاهر العلاقة الحسنة بين المسلمين والنورمان في عهـد روجـر الثـاني ، أن الأسـاطيل الحربية في البحر كانـت مشحونة بالمسلمين والفرنج على حد السواء (٥٧) .

ولعل السبب الذي جعل روجر ينهج هذا النهج في سياسته العسكرية ، هو الاستفادة من النظـام المتقن عند المسلمين فيما يتعلق بالجندية ، إضافة إلى تفاني المسلمين وإخلاصهم ودقتهم في الأعمال الموكلة إليهم .

ولم يقتصر روجر على الاستفادة من المسلمين في الأساطيل الحربية البحرية ، وإنما عمـد إلـى اتخاذ المشاة والرماة منهم ، وفرسان الخيول في الحروب ، وخاصة في حروبه في إيطاليا (٥٨) .

كما نجد أن التأثيرات الإسلامية بلغت حداً كبيراً ، لدى النورمان في عـهد روجـر الثـاني ، إذ تـأثر بألـقاب الخلـفاء والسـلاطين المسلمين ، فلقب نفسه بـ (المعتز با)(٥٩). ونتيجة لذلـك ولتلك الرعاية التي حظي بها المسلمون من روجر الثاني ، فإنه أتهم من بعض معاصريه بأنه أعتنـق الإسلام (٦٠) .

بل نجد أن الأمر زاد على ذلك فضرب نقوداً ذهبية يتداولها الناس ، اتبع فيها الصيغة الإسـلامية في الوزن والطراز ورسم فيها اسمه وألقابه وشارته الخاصة .

فقد كتب على دائرة الوجه الأول : (الحمد حق حمده وكما هو أهله ومستحقه) . وفي دائـرة

القفا : (ضرب بأمر الملك المعظم رجار المعتز بـ ا بمدينـة المهديـة سـنة ثلـث وأربعيـن وخمسمائة) . وكتب في وسط الوجه : (المعتز با) . وفي وسط القفا : (الملك روجار) (٦١) .

وضرب مثل هذه الدنانير بمدينة المهدية في شمال إفريقيا يدل على رغبة ملوك صقلية النورمـان في إتباع سياسة اللين والتسامح التـي ترمي في الواقع إلى تهدئة خواطر سـكان البـلاد التونسيـة واستمالتهم إلى قبول الاستيلاء الإفرنجي (٦٢) .

كما أستخدم روجر وأتباعه المظلة ، التي اختص بها بنو عبيد ا ، وهي شبه درقـه فـي رأس رمح ، محكمة الصنعة ، يمسكها فارس من الفرسان ، يعرف بها ، فيقال له : صاحب المظلة ، فيحاذي بها الملك من حيث كانت الشمس ليقيه حرها (٦٣) .

شخصيات علمية وأدبية في بلاط النورمان :

يعد الأدريسي من أعظم الشخصيات العلمية المسلمة التي مثلت الوجود الإسلامي في صقلية بعـد سقوطها ، وذلك لشهرته الجغرافية ، فهو أعظم الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى .

واحتضن بلاط روجر الثاني الشريف الأدريسي . والمصادر لـم تمـدنا بمعلومـات عن كيفيـة وصـوله إلى بلاط روجر وكل ما أفادتنا به أنه استدعاه ليصنع له صورة الأرض ، ويؤلف له كتابـاً في شرحها .

ولا نعلم كيف سمع به روجر ، فإن الإدريسي لم يشتهر بالجغرافية قبل أن يستدعيه روجر ، فهو لم يؤلف فيها قبل ذلك كتاباً ، ولا سمع أحد في بلاد المسلمين نفسها أنه متضلع في ها ، وكـل الـذي نعرفه من خلال المصادر أنه رحل إلى الشرق ، وعاد إلى المغرب ، ودخل الأندلس ودرس في قرطبة ، ثم ظهر في صقلية لدى حاكمها روجر الثاني النورماني (٦٤) .

ولعل المخرج من هذا أن روجر قد عرف الأدريسي معرفة شخصية من خلال البيت العربي المسلم الذي يرجع إلى الأدارسة العلويين ، والمقيم في صقلية ؛ وهذا البيت يعرف أفراده بالحموديين ، وهـم من نفس بيت بني حمود الذي ينتسب إليه الشريف الادريسي(٦٥) .

والحموديون هم الذين كان لهم سلطان كبير علـى بعـض مـدن صـقلية مثـل (جرجنـت) و (قصريانه) ؛ وهم أيضاً الذين قاوموا النورمان في اللحظات الأخيرة قبل اسـتيلائهم علـى جزيـرة صقلية (٦٦) .

وقد اهتم روجر الثاني بالشريف الإدريسي اهتماماً كبيراً ، فأكرم نزله ، و بالغ فـي تعظيمـه ، ورغبة في المقام عند قائلاً له : (أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت عندي أمنت على نفسك ، ومتـى كنت عند المسلمين عمل ملوكهم على قتلك) (٦٧) .

وقد أجابه الادريسي إلى ذلك ، (ورتب له كفاية لا تكون إلا للملوك) (٦٨) بل تعدى الأمـر ذلـك فيجلس الادريسي مكان روجر ، حيث يتنـحى عنه الأخير له (فيأتي الادريسي إلى روجر راكباً بغلة ، فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه) (٦٩) .

وباستقرار الادريسي في بلاط روجر يبدأ في تحقيق رغباته ، فيصنع له خريطة كروية لـلأرض من الفضة .

وتذكر المصادر ، أن روجر الثاني النورماني كان قد أعطى للادريسي وزن أربع مائة ألف درهـم من الفضة ليضـع له دوائر فلكية ؛ فلما أتم صنعها الادريسي أعجب بها روجر . ولما كان صنعها لم

يأخذ إلا ثلث تلك الفضة أو أكثر بقليل ، فقد منح روجر الباقي كله للادريسي ، بل أضاف إلى ذلك حمولة مركب جاء من برشلونة ببضائع ملكـية [(٧٠)] .

وتلك الخريطة الضخمة الكروية للأرض التي صنعها الادريسي ، هي ما حدت بروجر الثاني ، أن يستدعى الصناع المهرة لينقشوا عليها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها ، وريفها ، وخلجانهـا ، وبحارها ، ومجاري مياهها ومواقـع أنهارها ، وعامرها ، وغامرها ، وما بين كل بلـد وبلـد مـن الطرقات المطروقة ، والأميال المحدودة والمسافات المشهودة ، والمراسي المشهورة .... [(٧١)]

أما خير مثال للوجود الثقافي الإسلامي في عهد روجر الثاني ، فهو ذلك العمل الضخم، الذي قـام به الادريسي بتأليف كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

والكتاب إلى جانب أنه تحقيق لإحدى رغبات روجر الثاني ، فهو نتيجة من نتائج تلـك الخريطـة الضخمة الكروية للأرض التي صنعها الادريسي كما نص على ذلك الادريسي في مقدمته إذ أنه (كتاب مطابق لما في أشكالها وصورها ويزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقهـا وبقاعهـا ، وأماكنها ، وصورها ، وبحارها ، وجبالها ومسافاتها ومزروعاتها وغلاتها ، وأجناس بنائها وخواصها ، والاستعمالات التي تستعمل بها ، والصناعات التي تنفق بها والتجارات التي تجلـب إليها ....) [(٧٢)].

وبتألاف الأدريسي لكتابه (نزهة المشتاق) تتحقق رغبة روجر النورماني منه ، وهي مـا أشـار إليها الادريسي من أنه كان يريد معرفة حقيقة البلاد التي تحت سيطرته وحدودها وكل ما يتعلـق بهـا إضافة إلى معرفة غيرها من البلدان والأقطار ، إذ يقول : (لما اتسعت أعمال مملكته ، وتزايدت همـم دولته ، وأطاعته البلاد الرومية ... أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ، ويقتلها يقينا وخبرة ، ويعلـم حدودها ومسالكها براً وبحراً ... مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة ....) [(٧٣)].

وقد مجد الادريسي في مقدمته ، روجر الثاني النورمندي ، ووصفه بأوصاف ولقبـه بألقـاب لا تكون إلا لخلفاء الإسلام ، وقد ظهرت فيها المبالغة واضحة جلية ، ومن ذلك قوله : (فإن أقل ما عني به الناظر ، وأشغل الأفكار والخواطر ، ما سبق إليه الملك المعظم رجار المعتز با ، المقتدر بقدرته ، ملك صقلية ... الناصر للملة النصرانية ، إذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضاً ....) [(٧٤)]. وقوله : (فمن بعض معارفه السنيه ، ونزعاته الشريفة العلوية أنه لما أتسعت أعمال مملكته ...) [(٧٥)].

وكتاب (نزهة المشتاق) الذي جعلناه خير مثال للوجود الثقافي الإسلامي في صقلية فـي عهـد روجر الثاني ، هو بحق أفضل مؤلف جغرافي تلتقي فيه الجغرافيـا القديمـة بالجغرافيـا الحديثـة ، فمعلومات الإدريسي فيه دقيقة جداً لدرجة تدعوا إلى الإعجاب ، ولذلك لم يكن غريباً ، أن يطلق عليـه اسم (استرابون العرب) [(٧٦)].

كما أن هذا الكتاب القيم ظل ولعدة قرون هو المصدر الأساسي للكثير من المعلومات الجغرافيـة ، وذلك لأنه تضمن وصفاً لمناطق كان هو الرائد فيها بين كتب الجغرافيين المسلمين ، وعليـه اعتمـد اللاحقون فيما كتبوا .

وهو أعظم موسوعة جغرافية خرجت من صقلية في القرون الوسطى ، وأوفى كتاب جغرافي تركه لنا المسلمون لاشتماله على ما وصل إليه علم الأقدمين ، إضافة إلى ما أطلع عليه الادريسي بنفسه ، أو ما وصل إليه من دراسات ومشاهدات وخبرات ، وما رواه السياح [(٧٧)] .

جاء في دائرة المعارف الفرنسية عن كتاب الادريسي أنه : (أو فى كتاب جغرافي تركه لنا العرب ، وأن ما يحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق ، يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى) [٧٨].

يقول روم لاندو : (إن ما يعتقده الغربيون اليوم ، أن ما يتعلق بكروية الأرض ، وبعض الأمـور الجغرافية الأخرى كاكتشاف منابع النيل ، هو من اكتشاف الغرب ، فذلك ليس صحيح ، فقد سبقهم إلى ذلك الادريسي في العصور الوسطـى) [٧٩].

ونستمر في ذكر شهـادات الغرب عـن كتاب الادريسي حيث يقول سيديو : (على مدى ثلاثمائة وخمسين عاماً ظل رسامو الخرائط الأوربيون لا يفعلون شيئاً سوى إعادة نسخ هذا الكتاب مع بعـض التغييرات الطفيفة) [٨٠].

والغرب لم يعرف الجغرافيا المؤسسة على المراقبة والتجربة ، فالأرض عندهم ترسم على أنهـا قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمي ، وفي وسطها تقع الجنة ، كما تمليها عليهم خرائط الأديـرة ، إلى أن خرج معلم الغرب من قصور ملوك صقلية ، فأصبح نموذجاً يهتدي به [٨١] .

ولولا الخبرات الملاحية التي ورثتها الغرب عن العرب ، ومفهوم كروية الأرض ، لمـا اسـتطاع كولمبس المخاطرة في حوض الأطلنطي ، أو خطر له مجرد تصور فكرة هذه الرحلة [٨٢] .

ونحن عندما نذكر تلك المقولات عن كتاب الادريسي فإننا نؤكد أن ذلك كان عملاً ضخماً من ثمار الوجود الإسلامي في صقلية في العهد النورماني ، ونتيجة من نتائج تبني البلاط النورماني للعلمـاء المسلمين ، وإكرامهم وتمكينهم من إظهار علومهم ومعارفهم .

ونختم الحديث عن الادريسي بالإشارة إلى أنه لم يكن جغرافيا فحسب ، بل ألف وهو في ظل الحكم النورماني كتاباً في النبات والأعشاب ، سماه ، (جامع الصفات لأشتات النبات) [٨٣]، وهـو كتـاب درس فيه كثيراً من النباتات وخاصيتها العلاجية . كما أنه له كتاب آخـر عرف باسـم (الأدويـة المفردة) [٨٤].

ومن هنا يتضح لنا أنه ألف في الطب وبالتالي فإنه يعد موسوعة جغرافية ، طبية ، كما هو حـال كثير من علماء المسلمين الذين لا يؤمنون بالتخصص الضيق ، بل إن أحدهم يصعب تصنيفه في مجال معين .

ويحتضن البلاط النورماني في عهد روجر الثاني عدداً من العلماء المسلمين حيث أغراهم بالبقاء لديه ، وأكرمهم واستفاد من علومهم ومعارفهم .

ومن هؤلاء ذلك العالم المغربي – الذي نسى اسمه ابن الأثير – كما قال – والذي كـان يحضـره روجـر ، ويرجع إلى قوله ، ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين ، وذلك لثقته الكبيرة فيه [٨٥] .

ومنهم الأديب ابن قلاقس الاسكندري [٨٦] الذي جاء إلى البلاط النورماني حيث أجزلت له العطايا ، ومدح روجر الثاني بعدة قصائد ، فأكرمه على عادة الخلفاء والسلاطين والأمراء المسلمين .

واستغل ابن قلاقس وجوده في صقلية ليؤلف كتاباً لزعيم المسلمين في صقلية في ذلك الوقـت ، أبي القاسم ابن حجر [٨٧] ، تحت عنوان (الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم) وهو كتاب قال عنه

ابن خلكان أنه (أجاد فيه ، وذكر فيه أسماء وتراجم الكثير من الشعراء المسلمين المقيمين فـي صقلية) [٨٨].

ومن مظاهر الوجود الثقافي للمسلمين في صقلية ، أن بلاط روجر الثاني النورماني احتضن عدداً من الشعراء المسلمين ، أشارت المصادر إلى بعضهم ، وأتلفت كثيراً من إنتاجهم الشعري الذي قيل في مدح ملوك النورمان ، حتى لا ينقلوا إلى الأجيال تراثاً جاء في مدح ملك من ملوك النصـارى ، كمـا فعل العماد الأصفهاني في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) الذي لم يثبت كثيراً من تلك الأشعار .

ومن أولئك الشعراء عبد الرحمن رمضان المالطي ، والذي يعرف بالقاضي ، قـال عنـد العمـاد (ومعظم شعره في مدح روجار الإفرنجي المستولي على صقلية ، يسأله العـودة إلـى مالطـة ، ولا يحصل منه إلا على المغالطة) [٨٩].

ولم يذكر له شيئاً من شعره في مدح روجر ، بل ذكر له نماذج أخرى في بعض أغراض الشعر .

ومنهم أيضاً عبد الرحمن بن محمد بن عمر البثيري الصقلي ، والـذي وصـفه العمـاد بأنـه : (حامـ ـل القرآن ومساجل الأقران) [٩٠].

وأورد له قصيدة في مدح روجر النورماني ، ووصف المباني العلية بصقلية .

ومنها قوله [٩١] :

أدر الرحيق العسجديه	وصل أصطباحك بالعشيه
واشرب على وقع المثا	ني والأغاني المعبديه
ما عيشه تصفو سوى	بذرى صقلية هنيه
في دولة أربت على	دول الملوك القيصريه

ومنها أيضاً [٩٢] :

وقصور منصورية	حط السرور بها المطيه
أعجب بمنزلها الذي	قد أكمل الرحمان زيه
والملعب الزاهي على	كل المباني الهندسيه

والقصيدة طويلة كما ذكر العماد الأصفهاني الذي اقتصر على بعضها لأنها : (في مدح الكفار) [٩٣] فما أثبتها .

ومن الشعراء المسلمين في العهد النورماني ، أبو الضوء سراج بن أحمد بن رجـاء الكاتـب ، والذي وصفه العماد بـأنه : (صحيح التصور ، صادق التبجيل ، سديد الرأي ، حـاد الخـاطر ، وأن شعره بديع الحوك ، رفيع السلك) [٩٤].

وذكر له بعضاً من قصيدة طويلة في رثاء ولد روجر ، قال في أولها :

بكاء وما سالت عيون وأجفان	شجون وما ذابت قلوب وأبدان
خبا القمر الأسنى فأظلمت الدنا	وماد من العلياء والمجد أركان(٩٥)

والقصيدة في مجملها فيها تمجيد لابن روجر ، وبكاء عليه ، وحرقة أكبـاد ، ومـرض نفـس ، فرأيت أنه من الأولى الاكتفاء بما أشرنا إليه منها .

على أنه من المعلوم أن الهدف من ذكر ذلك كله هو أن الشعراء المسلمين كانوا يعيشون في ظل حكم النورمان ومنحوا حرية الكلمة ، وبالتالي امتدحوا ومجدوا أولياء نعمتهم ، ومـن يعيشـون فـي كنفهم .

تحول السياسة النورمانية تجاه المسلمين :

في ختام حديثنا عن عهد روجر الثاني – يجدر بنا أن نتحدث عن الوجه الآخر لسياسـته تجـاه المسلمين ، فهي ليست على كل الأحوال ذات تسامح ، بل اعتراها بعض الاضطهاد ، ويشترك في ذلك الاضطهاد الحكام وعامة الشعب من غير المسلمين .

ومن الأدلة التاريخية القاطعة على ما ذكرناه آنفاً ما ذكره ابن الأثير في أحداث سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م من عدم تسامح روجر مع أحد قادته العسكريين حيث أحرقه ، لأنه تهاون مع بعض الأسـرى المسلمين ، قال ابن الأثير : (وفي هذه السنة – أي سنة ٥٤٨ هـ – سار أسطول رجار ملك الفرنـج بصقلية إلى مدينة بونه[٩٦] ، وكان المقدم عليهم فتاه فيلب المهدوي ، فحاصرها واسـتعان بـالعرب عليها ، فأخذها في رجب ، وسبى أهلها ، وملك ما فيها ، غير أنه أغضى عن جماعة مـن العلمـاء والصالحين ، حتى خرجوا بأهليهم وأموالهم إلى القرى .... وعاد إلى صقلية ، فقبض عليه رجار لمـا اعتمده عليه من الرفق بالمسلمين في بونه ... فجمع رجار الأساقفة والقساوس والفرسان ، فحكمـوا بأن يحرق ، فأحرق في رمضان ؛ وهذا أول وهن دخل على المسلمين بصقلية) [٩٧] .

وهذا التحول الخطير في سياسة روجر تجاه المسلمين لابد وأن يكون له أسبابه ، ولعـل السبـب الأقوى في ذلك هو ظهور الموحدين كقوة إسلامية كبيرة في شمال إفريقيا ، وذلك فـي أواخـر أيـام روجر ، وفعلاً فلقد كان الموحدون قوة خطيرة تمكنوا من استعادة المهدية من النورمان . ولـذا فـإن روجر خشي من تعاون المسلمين في صقلية مع الموحدين مستقبلاً، فعمد إلى تغيـير سياسـته تجـاه المسلمين ، حيث نهج سياسة تقضي بتنصير المسلمين واليهود المقيمين في جزيرة صقلية حـتى لا يبقى إلا دين المسيحية في تلك الجزيرة .

وهناك من يرى أن من جملة أسباب تلك السياسة التي انتهجها روجر تجـاه المسلمين ؛ أسـباب شخصية كوفاة ثلاثة من أبنائه خلال فترة تسع سنوات ، وسوء حالته الصحية ، وأسـباب سياسـيه ، كقيام الإمبراطور البيزنطي منويل كومنينوس بالحشد والتعبئة في منطقة البحر الإدرياتيكي[٩٨] .

وتنتهي فترة حكم روجر الثاني بوفاته سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، وملك بعده ابنه غليـالم الأول ، الذي وصفه ابن الأثير بأنه كان (فاسد التدبير ، سيئ التصوير) [٩٩].

ومن ملامح عهد غليالم الأول وتأثير المسلمين عليه ، أنه كان يتكلم اللغة العربية، وكانت علامته (الحمد شكراً لأنعمه) [١][١٠٠].

وبلـغ تأثير المسلمين في صقلية على غليالم الأول ، أنه ضرب نقوداً ذهبية ، عربية في صيغتها ، كما هو الحال بالنسبة لأبيه روجر الثاني ، وقد لقب نفسه فيها بلقب (الهادي با) [١٠١].

وقد كان غليالم الأول يعتمد على المسلمين في معظم مهام حكمه ، وعلى وجه الخصـوص فـي المهمات الدقيقة ومن ذلك أنهم كانوا ينضوون تحت لوائه لمقاومة الخصوم وإخمـاد نـيران الفتـن [١٠٢]. وهذه مهمة كبيرة وخطيرة في ذات الوقت ، فلو لم يكونوا موالين له ، لسهل عليهـم نصـرة

خصومه .

ويستمر غليالم الأول في اتباع سياسة أبيه نحو إكرام العلماء والأدباء والشعراء ، فها هو يكـرم الشريف الإدريسي الذي يعيش في بلاطه ، كما عاش في بلاط والده من قبل ، ويطلب منه أن يؤلف له كتاباً ، فيقبل الإدريسي حيث ألف له كتاب (روض الإنس ونزهة النفس) والذي اشتهر فيما بعد باسـم (كتاب المسالك والممالك) [١٠٣] .وقد عثر على خلاصات من هذا الكتاب في مكتبة باستانبول [١٠٤] .

وما ذكرناه آنفاً ليس هو حال غليالم الأول مع المسلمين على الإطلاق ، فهناك وجه آخر لسياسته مع المسلمين كما هو الحال مع من سبقه ، ففي عهده ظهرت ملامح التعصب الاجتماعي ، والعنصري ولم يستطع حماية المسلمين فأصبحت حياتهم في خطر .

كما أن المسلمين لم يستطيعوا حماية أنفسهم ، بعد أن جردوا من أسلحتهم في أعقـاب انتصـار الموحدين في المهدية واستردادها .

وذلك الوضع في شمال إفريقية يعكس ما توقعه روجر الثاني كما سبق وأن أشرنا حيث كان يتوقع حدوث مثل ذلك من الموحدين بعد أن ظهروا كقوة كبيرة في شمال إفريقيا ، وبالتالي تجريد المسلمين من أسلحتهم في صقلية وخاصة في مدينة بلرم العاصمة .

وهنا وقع المسلمون فريسة سهلة للمتعصبين من النورمان وخاصة في أعقاب تلك الثورة التـي قامت ضد الوزير مايون ، وزير غليالم الأول سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م حيث انتهز المسيحيون الفرصة ، وهاجموا المسلمين وأثخنوا فيهم قتلاً وذبحاً في شوارع مدينة بلرم، كما أنهم دخلـوا إلـى القصـر الملكي ووجدوا فيه موظفين مسلمين وخصيان فقتلوهم كما قتلوا المسلمين الذين كانوا في الدواوين أو في الفنادق والحوانيت ، ونزعوا الأكفان عن جثث الموتى[١٠٥] .

ووصلت المذابح إلى الأرياف ، والغابات والجبال ، حيث هرب المسلمون إليهـا ، ولحـق بهـم المسيحيون وقتلوهم ولم يراعوا في قتلهم عمراً ولا جنساً[١٠٦] .

هذا ما حدث للمسلمين في عهد غليالم الأول عندما كشر أولئك المتعصبون عن أنيابهم وأظهـروا حقدهم على المسلمين ممثلاً في القتل والتعذيب

ومع ذلك فقد بقي في جيش غليالم الأول عدد كبير من المسلمين تمكنوا في نهاية المطـاف مـن قمع الثورة [١٠٧] .

وتنتهي حياة غليالم الأول في سنة ٥٦٢هـ /١١٦٦م ، وبوفاته تتضح صورة من صـور تعلـق المسلمين بالحكام النورمان ، حيث يطمع المسلمون في حمايتهم والتقدم في دولتهـم ، لأن الحاقديـن كثيرون ، والحاكم هو خير من يستطيع ضبط الأجناس المختلفة ، وعدم تعدي بعضها على بعض .

وتلك الصورة هي ما أقدم عليه النساء المسلمات في مدينة بلرم حين توفي غليـالم الأول، حيـث لبسن الثياب الخشنة ، ونشرن شعورهن ، وملأن الفضاء بعويلهن ، ورددن المراثي الشجيـة علـى نغمات الطنبور[١٠٨] . ومع ما في هذه الصورة من محاذير شرعية فإن لها دلالتها فيما يتعلق بالعلاقة بين المسلمين والبيت الحاكم في صقلية .

وينتقل الحكم في صقلية إلى غليالم الثاني (٥٦٢ – ٥٨٥هـ /١١٦٦-١١٨٩م) وذلك بعد وفـاة والده غليالم الأول وقد كان صغير السن حيث لم يبلغ سن الرشد ، وتولت والدته الملكـة مارغريـت الوصاية على العرش ؛ واتخذت رجلاً يسمى أسطفان ، مستشاراً لها ، والذي قـام بمحاولـة إعـادة التوازن إلى جزيرة صقلية .

وقد هدأت النفوس أيام غليالم الثاني حتى أصبح عهده مضرب المثل في الهدوء والسكينة ، حتى قيل (إن غابات صقلية في أيامه أكثر أمناً من المدن في البلاد الأخرى) [(١٠٩)] [٢].

والحديث عن الوجود الإسلامي بجميع مظاهره في عهد غليالم الثاني ، يرجع الفضـل فيـه إلـى الرحالة ابن جبير الذي زار صقلية في سنة ٥٨٠هـ /١١٨٥م ، وقدم لنا صورة مفصلة عـن حيـاة المسلمين هناك ، ولذلك سوف نستعرض وبإيجاز بعض ماله علاقة بموضوعنا من خلال رحلـة ابـن جبير ، في حالتي التسامح والاضطهاد .

فقد أشار ابن جبير إلى حال المسلمين في عصر غليالم الثاني ، وأنهـم بـاقون علـى أملاكهـم وضياعهم ، والسيرة حسنة بين المسلمين والنصارى ، عبدة الصلبان[(١١٠)].

وهنا يذكر ابن جبير أن المسلمين يدفعون إتاوة للنصارى في فصلين مـن العـام[(١١١)]. وفـي تصوري أن هذا انعكاس للموازين فالمسلمون كانوا يأخذون من غيرهم الإتـاوات ، وهـم الأعلـون ، ولكن تبدل الحال هنا في صقلية .

وقد آلم ذلك الوضع ابن جبير حيث قال : (وحالوا – أي النصارى – بينهم وبين سعة في الأرض كانوا يجدونها والله عز وجل يصلح أحوالهم ويجعل العقبى لهم) [(١١٢)].

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الملك النورماني غليالم الثاني ، فيقول عنه :(وشأن ملكهم هـذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين ، واتخاذ الفتيان المجابيب)[(١١٣)]. ويضيف قـائلاً : إنـه (كثير الثقة بالمسلمين ، ساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله ، حتى أن الناظر في مطبخه رجـل من المسلمين ، وله جملة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم ، ووزراؤه وحجابه الفتيـان ، وله منهم جملة كبيرة ، هـم أهل دولته ، والمرتسمون بخاصته وعليهم يلوح رونق مملكته ، لأنهـم متسعون في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة) [(١١٤)].

ولذلك فقد كان له الجواري من المسلمات ؛ واتخذ عيون دولته كذلك من المسلمين[(١١٥)].

ويشير ابن جبير ومن خلال وصفه لمدن جزيرة صقلية إلى كثرة المساجد بها ، وأن بعضها كـان محاضر لتعليم الصبيان القرآن[(١١٦)] ، مما يشير إلى وجود عدد كبير من المسلمين في جميـع مـدن صقلية .

وقد كان الملك النورماني غليالم الثاني يقرأ ويكتب العربية ، كما أنه اتخذ علامة هي (الحمـد لله حق حمده) ، كما أنه سك عملة نقدية كتب على أحد وجهيها كلمة (الله) وتحت كلمـة (الله) كتـب ، غليالم الثاني[(١١٧)].

وقد اهتم غليالم الثاني بالعلماء والحكام ، حيث كان يستدعيهم إلى بلاطه ويغدق عليهم الأمـوال والأرزاق طمعاً في بقائهم لديه وتسلية لهم عن أوطانهم[(١١٨)].

وقد امتدح ابن قلاقس الأسكندري الذي قدم إلى بلاط ملوك النورمان ، كما سبق وأن أشرنا إلـى ذلك ، امتدح غليالم الثاني بقصيدة ذكر بعضها الصفدي ، فكان مما جاء فيها قوله :

يقر لغليام المليك ابن غليام	سليمان في ملك وداود في حكم
وتخدمه الأفلاك بالسعد في العدى	فيسطو بسيف البرق أو حربة النجم
فأي هلال ليس كالقوس راشقاً	بأي شهاب ليس ينفذ كالسهم

وما النصر إلا جنده حيث ما مضى على جبهات البر أو صفحة اليم(119)

ولكن ما هي الصورة الأخرى لحياة المسلمين في صقلية في عهد غليالم الثاني والتي رواها لنـا ابن جبير ، وهل هناك تناقض بين روايته للحالين ، أم أن هذا هو الواقع حقيقة في صقلية .

يقول ابن جبير عن مدينة (مسيني) : (ويستوحش بها المسلم الغريب)(120). وقوله هـذا يـدل على أن المسلمين بها قليل ، أو لا يوجد منهم أحد فالكل من غير المسلمين.

وابن جبير يجعلنا في حيرة أيضاً عندما يذكر لنا أن الملك غليالم الثاني اتخـذ حجابـه ووزراءه وفتيانه من المسلمين ثم يقول لنا (كلهم أو أكثرهم كاتم إيمانه ، متمسك بشريعـة الإسـلام) (121) وهذا يدل على أن هناك تضييق على المسلمين فيما يتعلق بتأديـة شـعائرهم الدينيـة ، وواجباتهـا وتكليفاتها .

وينقل لنا ابن جبير صورة أخرى لحال المسلمين هناك ، يتبين من خلالها الدور الـدعوي الـذي تقوم به النساء المسلمات من جواري القصر الملكي ، ولكن ذلك يتم في سرية وتكتم. مما يدلل علـى الخناق الذي يلقاه المسلمون عامة في صقلية عند ذكـر الحقيقـة، فيـذكر لنـا أن (الأفرنجيـة مـن النصرانيات تقع في قصره ، فتعود مسلمة تعيدها الجواري - المسلمات - مسلمة ، وهن على تكـتم من ملكهن في ذلك كله) (122).

ويروي لنا الرحالة ابن جبير حكاية عن رجل من وجهاء مدينة مسيني وكبرائهـا اسـمه عـبد المسيح ، كان قد احتفل بابن جبير وأكرمه في منزله ، وهذا الرجل تحركت فيه عواطفـه ومشـاعره الدينية ، ويريد أن يسأل عن الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والشام ، ولكنه لم يستطع أن يقدم على تلك الأسئلة إلا بعد أن أزال من مجلسه ذلك كل من يشك فيه من خدامه ، من أنه سينقل عنه شيئاً .

وهذا أمر له دلالته فالمسلم هناك لا يستطيع أن يبوح بمشاعره وأحاسيسه الدينية خوفاً من أولئك النصارى من الحكام وغيرهم .

يقول ابن جبير : (وباح لنا بسره المكنون بعد مراقبة منه في مجلسه ، أزال لها كل مـن كـان حوله ممن يتهمه من خدامه ، محافظة على نفسه ، فسألنا عن مكة قدسـها الله ، وعـن مشاهدهـا المعظمة ، وعن مشاهد المدينة المقدسة ، وعن مشاهد الشام) (12[3]) . فأخبره ابن جبير عن ذلـك كله (وهو يذوب شوقاً وتحرقاً) (124) .

وينقل هذا الشخص صورة ما هم عليه لابن جبير ، من كتمان لإيمانهم ، وعبادة الله سراً ، وغير ذلك فيقول لابن جبير (أنتم مدلون بإظهار الإسلام ، فائزون بما قصدتم له ، رابحون إن شاء الله فـي متجركم ، ونحن كاتمون إيماننا خائفون على أنفسنا ، متمسكون بعبـادة الله وأداء فرائضـه سـراً ، معتقلون في ملك كافر بالله ، قد وضع في أعناقنا ربقـة الرق ..) (125).

إن ما ذكره هذا الشخص لابن جبير يؤكد لنا أن المسلمين على هذه الحالة إنما هم كالأرقـاء ، لا يتحركون إلا بأوامر سيدهم ، ولا يستطيعون إظهار عزة أنفسهم ، وعزة دينهم ، بل هم في حالة خوف دائم على أنفسهم.

ويؤكد لنا ابن جبير أن أداء فتيان الملك غليالم الثاني للصلاة المفروضة ، لا يكون إلا سراً ، حيث يخرجون من عنده فرداً فرداً فيصلون فريضتهم ؛ (وربما يكونون بموضع تلحقه عين ملكهم فيسترهم الله عز وجل) (126).

وعند زيارة ابن جبير لمدينة (بلرم) العاصمة يذكر لنا حال المسلميـن هنـاك فـي صـورتين

متناقضتين ، من حيث أنهم يعمرون مساجدهم ويقيمون صلواتهم بأذان مسموع، ويصلون الأعياد بخطبة يدعون فيها للخليفة العباسي، ولهم قاض يرفعون إليه شكواهم ، ويقبلون أحكامه ، كما أنهـم هم التجار في الأسواق ... وهذه الصورة هي الحسنة التي كان يجب أن يكون عليها حـال المسلميـن على الدوام في ظل الحكم النورماني .

ولكن يذكر لنا ابن جبير وأثناء تقديمه لهذه الصورة الحسنة ، صورة أخرى لاشك وأن لها دلالـة خاصة ، وتلك الصورة أنهم كانوا لا يؤدون صلاة الجمعة ، والسبب أن الخطبة محظورة عليهم(١٢٧) .

وفي تصوري أن منعهم من الخطبة يوم الجمعة ، لما تتضمنه الخطبة في الغالب من ذكر لأحـوال المسلمين ، وتتبع الخطيب لمجريات الأحداث ، أي أحداث الساعة ، وبالتالي قد ينتقد وضع معين قـام به النورمان ، فتكون النتيجة استحثاث همم المسلمين لمقاومة السيطرة النورمانية على جزيرة صقلية، أو على الأقل إثارة قضية معينة تصعب السيطرة عليها ، ولذلك قرر النورمان حظر خطبة الجمعة على المسلمين ؛ وهذا فيه تعطيل كبير ، وحرمان للمسلمين من عظمة ذلـك اليـوم، واجتمـاعهم فيـه ، ومناقشة أحوالهم ، والنظر في متطلباتهم وطموحاتهم .

ومن أعجب ما ذكره ابن جبير عن المسلمين في صقلية هذه الصورة الـتي سـأذكرها ، وأتـرك التعليق لمن يقرأها . قال : (ومن أعجب ما شاهدناه من أحوالهم التي تقطع النفوس إشـفاقاً وتذ يب القلوب رأفة وحناناً ، أن أحد أعيان هذه البلدة – يقصد طرابنش – وجه ابنه إلى أحد أصحابنا الحجاج ، راغباً في أن يقبل منه بنتاً بكراً صغيرة السن ، فإن رضيها تزوجها ، وإن لم يرضها زوجها ممـن رضي لها من أهل بلده ... وهي راضية بفراق أبيها وإخوتها طمعاً في التخاص مـن هـذه الفتنـة ، ورغبة في بلاد المسلمين ، فطاب الأب والأخوة نفساً لذلك لعلهم يجدون السبيل للتخاـص إلـى بـلاد المسلمين بأنفسهم ، إذا زالت هذه العقلة المفيدة عنهم ، فتأجر هذا الرجل المرغوب إليه بقبول ذلـك ، وأعنّاه على استغنام هذه الفرصة المؤدية إلى خيري الدنيا والآخرة ، وطال عجبنا مـن حـال تـؤدي بإنسان إلى السماح بمثل هذه الوديعة المعلقة من القلب، وإسلامها إلى يد من يغـر بهـا ، واحتمـال الصبر عنها ، ومكابدة الشوق إليها والوحشة دونها ... وذلك رغبة في الإسلام واسـتمساكاً بعروتـه الوثقى) (١٢٨) .

ابن جبير وزعيم المسلمين في صقلية :

سبق وأن أشرنا أن ابن قلاقس الأديب الاسكندري ألّـف كتابا لزعيم المسلمين في صقلية بعنوان (الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم) ، وهذا الزعيم هو أبو القاسم بن محمد بن حمود ، وينتسـب إلى بيت عربي إسلامي كانت له السيادة قبل سقوط صقلية على بعض مدنها ، واحتفظ بتلك المكانة بعد السقوط بما له من أملاك ومكانه ، والسيادة هنا أسمية وشرفية ، ولها وقعها المباشر على المسلمين.

وقد لقي هذا البيت معاملة حسنة من جانب النورمان بداية حيث استسلم علـى شـروط الأمـان والاطمئنان إلى الإسلام وضمان حقوق من معهم من المسلمين(١٢٩) .

ولكن الأحوال ساءت مع المسلمين ، وبالتالي لابد أن تسوء مع رئيس البيت الحمـودي وزعيـم المسلمين في صقلية وخير من يدلنا على تلك الأحوال ابن جبير الذي التقى بزعيم المسلمين ، حيـث كان اللقاء في (طرابنش) إحدى مدن جزيرة صقلية سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٥م .

وقد بدأ ابن جبير يذكر مآثر الرجل ومناقبه وصفاته ومكانته في صقلية ، فقال: (ووصـل هـذه الأيام إلى هذه البلدة زعيم أهل هذه الجزيرة من المسلمين وسيدهم القائد ابـو القاسـم بـن حمـود ،

المعروف بابن الحجر ، وهذا الرجل من أهل بيت بهذه الجزيرة توارثوا السيادة كابراً عن كـابر ، وقرر لدينا مع ذلك أنه من أهل العمل الصالح مريد للخير محب في أهله كثير الصنائع الأخروية مـن افتكاك الأسارى ، وبث الصدقات في الغرباء والمنقطعين من الحجاج ، إلى مآثر جمة ومناقب كريمة) (١٣٠).

وتظهر مكانة الرجل لدى عامة المسلمين من قول ابن جبير (وارتجت هذه المدينة لو صوله) (١٣١).

ثم يحدثنا ابن جبير بعد ذلك عن حالته مع الملك النورماني غليالم الثاني الذي يصفه بالطاغيـة ، فيقول : (وكان في هذه المدة تحت هجران من هذه الطاغية ألزمه داره بمطالبة توجهت عليـه مـن أعدائه افتروا عليه فيها أحاديث مزورة نسبوا إليه فيها مخاطبة الموحدين أيدهم ا فكـادت تقضـي عليه) (١٣٢).

أما عن العقوبة الصادرة بحقه فقد كانت عبارة عن مصادرات بلغت قيمتها أكثر من ثلاثين ألـف دينار ، (ولم يزل يتخلى عن جميع ديارة وأملاكه الموروثة عن سلفه حتى بقي دون مال) (١٣٣).

ويصل الحال بزعيم المسلمين في صقلية أن يقول : (كنت أود لو أباع أنا وأهل بيتي، فلعل البيع كان يخلصنا مما نحن فيه ، ويؤدي بنا إلى الحصول في بلاد المسلمين) (١٣[٤]).

وهنا نقف موقف المتأمل من هذا القول كما وقف ابن جبير متأملاً ، من هذا الحال الذي آل إليـه مع جلالة قدره وعظم منصبه ، إذ أن مكانته قد بلغت عند المسلمين في الجزيرة مبلغاً عظيمـاً (فلـو تنصر لما بقي في الجزيرة مسلم إلا وفعل فعله اتباعاً له ، واقتداءاً به) (١٣٥).

ويختم ابن جبير الحديث عنه بقوله : (فسألنا له من ا عز وجل حسن التخاص مما هـو فيـه ولسائر المسلمين من أهل هذه الجزيرة ، وواجب على كل مسلم الدعاء لهم في كل موقف يقفـه بيـن يدي ا عز وجل ، وفارقناه باكياً مبكياً ، واستمال نفوسنا شرف منزعـه، وخصوصـية شـمائله ، ورزانة حصاته ، وشمول مبرته وتكرمه ، وحسن خلقه وخليقته)(١٣٦).

ويعطيـنا ابن جبير صورة يتبين من خلالها كيفية اعتناق بعض أبناء وبنات المسلميـن الديانـة المسيحية ، فيقول : (وإن أعظم ما مني به أهل هذه الجزيرة ، أن الرجل ربما غضب علـى ابنـه أو زوجه ، أو تغضب امرأة من ابنتها فتـلحق المغضوب عليه أنفة ، تؤدي به إلى الذهاب إلى الكنيسـة فيتنصر ، فلا يجد الأب للإبن سبيلاً ، ولا الأم للبنت سبيلاً ، فتخيل حال من يمنى بمثل هذا فـي أهلـه وولده) (١٣٧).

الحالة السابقة التي ذكرها ابن جبير تعود إلى سبب رئيسي واحد ، وهو ضعف الإيمان في نفوس أولئك ، وإلا لما هان عليهم إسلامهم بهذه السهولة ، والتاريخ مليء بنماذج لأشخاص عـذبوا كثـيراً بسبب إيمانهم ، ومع ذلك فقد صمدوا صمود الجبال الراسيات .

وبما أن الحديث عن مثل هذه الحالة فلن نذهب بعيداً وسنأخذ مثالاً آخر من رحلة ابن جبير ، فهذا فقيه صقلي يعرف بابن زرعه ، ضغط عليه عمال الملك النورماني ، فأظهر فراق الإسلام ، والانغماس في الدين النصراني ، وحفظ الإنجيل ، وأصبح قسيساً يستفتى في الأحكام النصرانية ، وكان له مسجد بجوار داره فحوله إلى كنيسة(١٣٨) .

وهذا إذا كان على حقيقته ، بمعنى أنه تنصر فعلاً ، فيعود سبب ذلك إلى ضعف إيمانه، وإن كـان

يظهر التنصر ويخفي الإيمان ، فلعله داخل تحت الاستثناء في قوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)[١٣٩] .

وبعد فإن أهل النظر والمفكريين والعقلاء من المسلمين في صقلية ، كانوا يخافون أن يصل بهم الحال ما وصل إليه حال إخوانهم في جزيرة قريطش والتي سقطت في أيدي البيزنطيين سنة ٣٥٠ هـ /٩٦١م ، حيث استدرجهم النصارى شيئاً فشيئاً حتى تنصروا عن آخرهم ، وفي ذلك يقول ابن جبير : (وأهل النظر في العواقب منهم يخافون أن يتفق على جميعهم ، ما اتفق على أهل جزيرة أقريطش من المسلمين ... حتى اضطروا إلى التنصر عن آخرهم ، وفر منهم من قضى الله بنجاته ، وحقت كلمة العذاب على الكافرين ، والله غالب على أمره) [١٤٠].

وينتهي عهد غليالم الثاني بوفاته سنة ٥٨٥هـ / ١١٢٨٩م ، وتبدأ في صقلية فترة سياسية مضطربة ، استمرت إلى سنة ٥٩١هـ /١١٩٤م ، تولى الحكم خلالها تانكريد ، ثم غليالم الثالث والذي في عهده انتقل حكم صقلية إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة إثر تدخل هنري السادس الإمبراطور الألماني في شئونها بعد زواجه من ابنة الملك النورمندي غليالم الثاني .

وقد كان وضع المسلمين في فترة الاضطراب تلك ، لا يسر ، فتاريخ تانكريد مليء بالأحداث القاسية تجاه المسلمين فهو الذي قاد حملة إبادة ضد المسلمين في مدينة بثيرة سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م[١٤١] .

وبعد توليه الحكم تعرض المسلمون لمذبحة عظيمة في مدينة بلرم سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، أدت بمن سلم منهم إلى الفرار إلى جبال صقلية الواقعة في الطرف الشمالي الغربي لجزيرة صقلية ، حيث قاموا هناك بثورة كبرى ضده استمرت إلى شهر رمضان من سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م . وبالقوة تارة والإقناع تارة أخرى انتهت تلك الثورة، وعاد أولئك إلى بلرم[١٤٢] .

ومما يدلل على عدم اهتمام تانكريد بالمسلمين وبغضه لهم أن جميع الوثائق في عهده القصير لم تكتب باللغة العربية ، كما هو الحال في عصور أسلافه ، بل كتبت باللغة اللاتينية فقط [١٤٣].

وبعد فقد انتهى الحكم النورماني لجزيرة صقلية بعد احتلال الجرمان لها كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك آنفاً . ولم يبق فيها إلا القليل من المسلمين ، حيث بدأوا في الهجرة منها إلى جنوب إيطاليا ، وشمال إفريقيا ، وذلك إثر التعذيب الذي تلقوه في أواخر حكم فريدريك الثاني ملك صقلية وإمبراطور ألمانيا (٦٠٩ – ٦٤٨هـ / ١٢١٢ – ١٢٥٠م) ذلك التعذيب الذي وصل إلى حد الإحراق والصلب ، ثم تابع مهمة التعذيب ، وإخراج المسلمين من جنوب إيطاليا الملك شارل دانجو ، حيث لم تأت سنة ٧٠٠هـ /١٣٠٠م ، وهناك أحد من المسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا .

واختفى الإسلام والمسلمون من صقلية وجنوب إيطاليا ، وهدمت مساجدهم التي هي رمز عبادتهم ودلالة وجودهم ومن فوق مآذنها كانت تدوي كلمة التوحيد .

ولكن هل هناك الآن ما يدل على أن المسلمين كانوا هناك ، نعم فلقد بقي بعض الشيء مما كان للمسلمين .

فهناك بقايا قصور إسلامية ، وعليها كتابات عربية ، حيث ظلت أسماء عربية باقية إلى يومنا هذا في اللغة الصقلية والإيطالية ، ومن ذلك أسماء القلاع والمراسي والشوارع ، مثل قلعة النساء ، وقلعة فيمي ، وقلعة الحسن وقلعة البلوط . وكذلك كلمة مرسى ، مثل مرسى علي ، ومرسى المينا .

ومن الكلمات العربية الموجودة اليوم في صقلية : منزل ، مثل منزل الأمير ، ومنزل يوسف ،

ومنها أيضاً رمل الموز ، رمل السلطانه ، القنطرة ، وادي الطين ، رأس القاب ، رأس الخنزير ، رأس القرن [١٤٤].

يقول لويجي رينالدي : (إن الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإطيالية التي تفوق الحصر إنما دخلت في اللغة لا بطريق الاستعمار العربي ، ولكن بطريق المدنية التي كثيراً ما تؤالف وتؤاخي بين مظاهر الحياة المختلفة) [١٤٥].

وأضاف قائلاً : (وإن وجود هذه الكلمات في اللغة الإيطالية ليشهد بما كان للمدينة العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي ، وبما كان من العلاقات التجارية بين بلادنا وبين المسلمين في الشرق ، وإفريقيا الشمالية وصقلية) [١٤٦].

وقد عد لويجي رينالدي كثيراً من تلك الكلمات ، ولا سيما في لغة العلم ، ثم قال إن جنوة اضطرت أن تؤسس سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م مدرسة لتعليم العربية ، وذلك يدل على وجود كلمات عربية في لغة هذه المدينة[١٤٧].

واستمرت العربية في صقلية مدة طويلة بعد خروج المسلمين منها ، حتى أن النصارى استخدموها لغة للتخاطب والكتابة ، كما استخدموا التاريخ الهجري[١٤٨] .

ومما بقي من آثار المسلمين إلى اليوم بقايا قصر القبة بطابعه المعماري العربي في مدينة بلرم ، بأقواسه الهندسية الرائعة ، ونقوشه وكتاباته الكوفية ، وعيونه الجارية التي تغذي النافورة الواقعة في وسط البهو الكبير ببصمات عربية رائعة .

وكذلك بقايا قصر الفواره ، الذي كانت تحيط به بركة صناعية ، والقصر الملكي ، الذي أنشأه المسلمون واستخدموه مقراً للإمارة ، ثم استخدمه النورمان من بعدهم .

ومما بقي من آثار المسلمين في صقلية قصر العزيز بطابعه الإسلامي النورماني والذي هو الآن المتحف الإسلامي في صقلية .

وإلى هنا وينتهي ذلك الدور الصقلي العظيم ، الذي كانت فيه صقلية مركزاً مهماً من مراكز الحضارة الإسلامية بجميع فروعها وأنشطتها في العلوم والفنون والعمارة والزخرفة والطب والصيدلة ، وغير ذلك مما برز فيه المسلمون على غيرهم من الأمم ، ذلك الدور الذي بدأ من أول خطوة خطاها القائد الفاتح أسد بن الفرات الذي كان فتحه لها فتحاً علمياً وثقافياً ، إذ أنه اصطحب معه في جيشه الكثير من العلماء والفقهاء والوجهاء ، وأعلن لهم قبل المسير أن العلم هو سبب التفوق ، فلله دره من قائد محنك ، وعالم وفقيه فريد ، ورحمه الله رحمة واسعة .

أقول : نعم لقد كانت صقلية وفي خلال عصورها الإسلامية المختلفة مركزاً علمياً إسلامياً كبيراً على الرغم من اختلاف توجهات قادتها السياسية من سنيين وشيعة ، فلقد كانت وبشهادة المصادر المعاصرة لتلك العصور مضاهية للأندلس في العلماء والأدباء والفقهاء ، بل أصبحت لها مدارس فكرية وثقافية مستقلة ذات شخصية صقلية بحتة ، مما أدى بعد ذلك إلى نشوء علاقات ثقافية بينها وبين البلدان الإسلامية المختلفة ، إذ كان يطمع أولئك العلماء والفقهاء في البلدان الأخرى إلى التتلمذ على علماء وفقهاء صقلية إما مباشرة عن طريق التلقي أو عن طريق الإجازة .

واستمر تميز صقلية الثقافي حتى بعد سقوطها في أيدي النورمان ، مما أغرى أولئك المستعمرون لها على الإبقاء على هؤلاء المسلمين طمعاً في النيل من ثقافتهم وحضارتهم ومدنيتهم وكل مظاهر مثاليات إسلامهم.

وهذا التوجه لدى أولئك المستعمرين أبقى على وجود الشخصية المسلمة في صقلية فترة تقـرب من قرن ونصف بعد سقوطها من أيدي المسلمين . استغله أولئك القوم من الحكام الجدد في احتضـان العباقرة من المسلمين وتمكينهم من التأليف ، والترجمة حتى غدت صقلية مركزاً مـن مراكـز العلـم والترجمة في العصور الوسطى ، وفيها بدأت نواة المدارس والجامعات التخصصية بتأثير مباشر مـن العلماء المسلمين ومؤلفاتهم المترجمة .

واليوم لقد أصبحت جزيرة صقلية جزيرة منسية كما هو الحال للكثير من البلدان الإسلامية التـي كان للمسلمين فيها الكلمة الفصل ، ولم يعدنا بوسعنا إلا أن نقول : إن المسلمين كانوا هنـاك ، وا غالب على أمره .

الحواشي والتعليقات

(١) كان ذلك البحث عبارة عن رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القـرى عـام ١٤١٤هــ ، وطبعتها الجامعة على نفقتها .

(٢) الدمشقي ، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٢٦ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ج٢ ، ص ١١٣ . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختــراق الآفــاق ، ج٢ ص ٥٩٠-٥٩٥ .

(٥) حامد زيدان ، تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية ، ص ١١-١٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٢٨٨ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(٨) لمزيد من التفصيل انظر : علي محمد الزهراني ، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية ، ص ٣٧ وما بعدها .

(٩) زيادة ا بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، تولى بعد أخيه عبدا وكان من أفضل أهل بيته وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً ، وكان يقول الشعر ، ولا يعلم أحدٌ قبله سـمي زيـادة ا ، توفي سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م
ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، ص ١٦٣ .

(١٠) أبو عبدا أسد بن الفرات الحراني ، المغربي ، الإمام ، القاضي ، روى عن مالك بن أنس كتابه الموطأ . ألف الأسديه في الفقه المالكي ، توفي محاصراً لمدينة سرقوسه من جزيـرة صـقلية سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ١٨٢ .

(١١) المالكي ، أبو عبدا بن محمد ، رياض النفوس ، ج١ ، ص ١٨٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٣٣٥

(١٢) أبو عبدا الحسين بن أحمد بن زكريا الصنعاني ، من أهل صنعاء اليمن ، وهـو القائـم بالدعوة العبيدية نسبة إلى عبيدا المهدي ، كان من الرجال الدهاه ، الخبيرين بالجدل والحيل ، دخل بلاد افريقية بلا مال ولا رجال ، ولم يزل بها إلى أن ملكها ، وقتل على يد عبيدا المهدي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠م - ابن خلكان ، وفيات الأعـيان ، ج٢ ص ١٩٢ .

(١٣) أبو مضر زيادة ا بن عبدا بن إبراهيم ، ويعرف بزيادة ا الأصغر ، توفي بالرملـه سنــة ٣٠٤هـ ٩١٦م - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٩٣ ، ابـن الآبـار ، الحلـة السيراء ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(١٤) مدينة رقاده بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب واتخذها عاصمة له سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م ، وبنى بها قصوراً ومساجد وأسواقاً وحمامات ومكتبات . ياقوت ، شهاب الدين أبو عبـدا ، معجـم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٥ .

(١٥) تنتمي الأسرة الكلبية إلى قبيلة قضاعة اليمنية ، وقضاعة ترجع إلى العرب القحطانيـة ، وينسبها البعض إلى العرب العدنانية . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ١٥٧ . القلقشنـدي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،ص٤٠٨ .

(١٦) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٢٢ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٨٥ .

(١٧) البربر : هم من أبناء شانا بن يحيى بن صولات ... بن كنعان بن حام ابن نـوح عليـه

السلام .ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٥ ، ابن عذاري ، البيـان المغـرب ، ج١ ، ص ٦٥ ، ٦٦ . لمزيد من المعلومات عن البربر انظر : الوزان ، وصف افريقيا ، ص ٤٢ .

(١٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٢٦٨ .

(١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ص ٣٧٨ ، ابن خلدون العبر ج ٤ ، ص ٢١٠ .

(٢٠) هو الوالي الرابع من ولاة بني زيري بالمغرب ، وهو الذي قطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر ا ، كما ألزم جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٢٣٣ ، الذهبي ، سير أعلام النبـلاء ، ج١٨ ، ص ١٤٠ .

(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٥ ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشـر ، ج٢ ، ص ٩٨، ابن خلدون العبر ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

(٢٢) الدوري ، سقوط صقلية ، مقال ، ص٧ .

(٢٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٦ ، أبو الفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص ٢٠١ ، ابن خلدون، العبـــر ج٤ ، ص ٢٦٩ .

(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٢٦٩ .

(٢٥) لمزيد من التفصيل ، ومعرفة أسباب ذلك الخلاف الذي كان للمرأة دورٌ أساسـيٌ فيـه . انظر : ابن الأثير الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، أبو الفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص ٢٠١ .

(٢٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٩٦ .

(٢٧) المصدر السابق ، ج١٠ - ص ١٩٧ .

(٢٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٩٧ ، أبو الفـدا ، المختصـر ، ج٢ ، ص ٢٠١ ، النويري ، نهاية الأرب ج٢٤ ، ص ٣٨١ .

(٢٩) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(٣٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ ، الدوري ، سقوط صقلية ، ص ٨ .

(٣١) للمزيد من المعلومات عن المجتمع الصقلي ، انظر : علي بن محمد الزهرانـي ، الحيـاة العلمية في صقلية الإسلامية ، ص ١٠١ وما بعدها .

(٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٣٣) عزيز أحمد ، تاريخ صقلية ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣٤) أبو عبدا محمد بن محمد بن عبدا بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود .. ويتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي ا عنه ، ولد في مدينة سبته سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م ، وهو من الأدارسة العلويين ، كان جغرافياً باهراً ، اديباً شاعراً ، توفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٦م

(٣٥) انظر ، نزهة المشتاق ، في المكتبة الصقلية ، ص ٢٦ .

(٣٦) سعيد عاشور ، المدنية العربية ، ص ٥٤ .

(٣٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٣٨) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٣٩) زيان ، تاريخ الحضارة ، ص ٨١ .

(٤٠) إحسان عباس ، العرب في صقلية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ١٤١ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٤٤) عزيز ، أحمد تاريخ صقلية ، ص ٨٠ .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٨٠ ، إحسان عباس ، العرب في صقلية ، ص ١٤٣ .

(٤٦) المرجعان السابقان ، ص ٨٠ ، ١٤٣ .

(٤٧) إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٤٨) عزيز أحمد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٥٠) الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٥١) الجنائب : قال ابن منظور : جناب الرجل : الذي يسير معه إلى جنبه ، والجنائب هي الخيول التي تسير وراء السلطان في الحروب لاحتمال الحاجة إليها ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٧٦ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ج٤ ، ص ٣٨١ .

(٥٢) الحاجب : هو في أصله من يبلغ الأخبار من الرعية إلى الأمام ، ويأخذ لهم الأذن منه- القلقشندي المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٤٩ .

(٥٣) السلاحية : هم أولئك الذين يحملون سلاح الأمير أو السلطان - المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤٥٦ .

(٥٤) الجناندار : هو الذي يستأذن على الأمراء في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل - المصدر السابق ، ج٥ ص ٤٦١ .

(٥٥) الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٥٦) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٩٨ .

(٥٧) ابن أبي دينار ، المؤنس ، في المكتبة الصقلية ، ص ٥٣٤ .

(٥٨) عزيز أحمد ، تاريخ صقلية ، ص ٨١ .

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٦٠) زيان ، تاريخ الحضارة ، ص ٨٢ .

(٦١) حسني عبدالوهاب ، ورقات ، ج١٠ ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٦٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٥٢ . وسقوط المهدية كان في عهد آخر أمراء بني زيري الحسن بن علي بعد أن حاصرها روجر الثاني ، ودك أسوارها وحاميتها ، واستسلمت في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م ، ودخلها دون مقاومة وبقيت كذلك إلى أن استردها عبد المؤمن صاحب مراكش سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م . انظر : ابن الأثير الكامل ، ج١١ ، ص ١٢٥ ، ٢٤١ .

(٦٣) ابن حماد ، نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجه،في المكتبة الصقلية،ص ٣١٧.

(٦٤) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص ٣١٦ ، الزهراني ، الحياة العلمية ، ص ٥٦٧

(٦٥) مؤنس ، أدارسة صقلية ، مقال ، ص ٩٦ .

(٦٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٩٨ ، مؤنس ، أدارسة صقلية ،ص ٩٧.

(٦٧) الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص ١٠٦ .

(٦٨) نفسه ، ج١٤ ، ص ١٠٦ .

(٦٩) نفسه .

(٧٠) نفسه .

(٧١) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٦ .

(٧٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧ .

(٧٣) نفسه ، ج١ ، ص ٥ .

(٧٤) نفسه ، ج١ ، ص ٣ ، ٤ .

(٧٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥ .

(٧٦) عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين ، ص ٣١٧ ، واسترابون هو جغرافي يوناني ولد في آسيا الصغرى سنة ٥٨ قبل الميلاد ، وتوفي سنة ٢١ أو ٢٥ ميلادية وهو مؤلف كتاب ثمين إسمه (جغرافيا)،انظر المرجع السابـق ص ٣١٨.

(٧٧) محمد مرسي ، الشريف الإدريسي ، ص ١٠ ، ١١ .

(٧٨) أحمد فؤاد ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، ص ١٢٠ .

(٧٩) روم لاندو ، الإسلام والعرب ، ص ٢٥٦ .

(٨٠) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص٣٧٤ .

(٨١) هونكه ، شمس العرب ، ص ٤٢٠ .

(٨٢) ستانوودكب ، المسلمون في تاريخ الحضارة ، ص ٩٦ .

(٨٣) الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس ، ج١ ، ص ٥٩ .

(٨٤) الدوري ، دور صقلية في نقل التراث الطبي ، مقال ، ص ٢٠٥ .

(٨٥) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ٧٠ .

(٨٦) أبو الفتوح نصر ا بن عبد ا بن مخلوف بن علي بن قلاقس اللخمي الملقب بالقاضي الأعز ، كان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً ، صحب أبا الطاهر السلفي وانتفع به ، توفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، ابن خلكان ، وفيات ، ج٥ ص٣٨٥ .

(٨٧) ابن حجر : ذكره إبن جبير في رحلته فقال : هو زعيم أهل هذه الجزيرة مـن المسلميـن وسيدهم أبو القاسم بن حمود المعروف بابن الحجر ، وهذا الرجل من أهل بيت بهذه الجزيرة ، توارثوا السيادة كابراً عن كابر ، وهو من أهل العمل الصالح ، مريد للخير ، محب في أهله ، كثـير الصنائـع الأخروية من إفتكاك الأسرى ، وبث الصدقات في الغرباء والمنقطعين من الحجاج .انظر :ص ٣١٤.

(٨٨) الطبري ، تاريخ الأمم ، ج٤ ، ص ٢٨٨ .

(٨٩) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ، ج١ ، ص ٢١ .

(٩٠) العماد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٩١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٩٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٩٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٤ .

(٩٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٦ .

(٩٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٧ .

(٩٦) بونه : بالضم ثم السكون ، مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بـني مزغنـاي ، ياقوت ، معجم البلدان ج١ ، ص ٥١٢ .

(٩٧) الكامل ، ج١١ ، ص ١٨٧ .

(٩٨) عزيز أحمد ، تاريخ صقلية ، ص ٨١ .

(٩٩) الكامل ، ج١١ ، ص ١٨٧ .

(١٠٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩٨ .
(١٠١) حسن عبد الوهاب ، ورقات ، ج١ ، ص ٤٥٢ .
(١٠٢) المدني ، المسلمون في صقلية ، ص ١٦٦ .
(١٠٣) العماد الأصفهاني ، الخريدة ، في المكتبة الصقلية ، ص ٦١١ .
(١٠٤) عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين ، ص ٣١٧ .
(١٠٥) إحسان عباس ، العرب في صقلية ، ص ١٤٩ .
(١٠٦) المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية ، ص ٨٢ .
(١٠٧) عزيز أحمد ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .
(١٠٨) إحسان عباس ، العرب في صقلية ، ص ١٤٩ .
(١٠٩) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
(١١٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩٧ .
(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
(١١٢) المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
(١١٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، والمجبوب هو الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصياه .
انظر:ابن منظور لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٤٩.
(١١٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩٧ .
(١١٥) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(١١٦) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
(١١٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(١١٨) المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(١١٩) الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص ١٠٧ .
(١٢٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩٧ .
(١٢١) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
(١٢٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(١٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(١٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
(١٢٦) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .
(١٢٨) المصدر السابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(١٣٠) حسين مؤنس ، أدارسة صقلية ، مقال ، ص ١١٤ .
(١٣١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٣١٤ .
(١٣٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(١٣٣) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(١٣٤) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .
(١٣٦) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
(١٣٧) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(١٣٨) المصدر السابق ، ص ٣١٣ .
(١٣٩) سورة النحل ، آية ١٠٦ .
(١٤٠) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ .
(١٤١) عزيز أحمد ، تاريخ صقلية ، ص ٨٥ .
(١٤٢) المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(١٤٣) المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(١٤٤) محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، ج١ ، ص ٢٨٧ .
(١٤٥) لويجي ، المدنية العربية في الغرب ، مقال ، ص ٥٣٧ .
(١٤٦) المصدر السابق ، ص ٥٣٨ .
(١٤٧) محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، ج١ ، ص ٢٨٧ .
(١٤٨) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩١ .

المصادر والمراجع

١- المصادر المطبوعة :

ابن الآبار : أبو عبد ا محمد بن عبد ا القضاعي البلنسي ، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م. الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

ابن أبي دينار : أبو عبد ا محمد بن أبي القاسم القيرواني . كان حياً سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م .

المؤنس في أخبار إفريقية .في المكتبة الصقلية .

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م .

أ- الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ب- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالمواصل ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م .

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي ، ت :٦١٤هـ /١٢١٧م .

الرحلة المسماه ، اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي . ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي ، توفي قريباً من سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م .

صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد ا السلماني . ت ٧٧٦هـ /١٣٧٤م .

أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني . الدار البيضاء ،د. ت .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . ت : ٨٠٨هـ /١٤٠٥م .

- المقدمة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة، د.ت.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، وضع حواشيه وفهارسه خليل شحاذة ، وراجعه سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مطبعة دار الباز ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د. ت .

ابن عذاري : أبو عبد ا محمد المراكشي ، ت قريباً من سنة ٧١٢هـ /١٣١٢م .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان ، وليفي بروفنسال ، بيروت دار الثقافة الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . ت ٧١١هـ /١٣١١م .

لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى . د. ت.

أبو الفدا : الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل . ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م .

المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة ، د. ت .

الإدريسي: أبو عبد ا محمد بن محمد بن عبد ا بن إدريس . ت ٥٦٠هـ /١١٦٤م .

نزهلة المشتاق في اختراق الآفاق ، بريل ، ليدن .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر . ت ٢٧٩هـ /٨٩٢م .

فتوح البلدان ، تحقيق عبد ا أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م .

الدمشقي : أبو عبد ا شمس الدين محمد بن أبي طالب الصوفي الأنصاري المعروف بشيخ الربوة، ت ٧٢٧هـ-١٣٢٧م

نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د. ت.

الذهبي : الإمام أبو عبد ا شمس الدين محمد بن أحمد . ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م .

سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

الصفدي : صلاح الدين خليل بين أيبك . ت ٧٦٤هـ /١٣٦٢م.

الوافي بالوفيات ، اعتناء مجموعة من الباحثين ، ألمانيا ، دار فرانز شتايز بفيسبادن ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير . ت ٣١٠هـ /٩٢٢م .

تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، دار سويدان ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧م .

العماد : أبو عبد ا محمد بن محمد صفي الدين . ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م .

جريدة القصر ، وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب ، تحقيق محمد العروسي الطوي ، والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي . تونس ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م .وأيضاً الموجود في المكتبة العربية الصقلية.

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي . ت ٨٢١هـ /١٤١٨م .

أ. صبح الأعشى في صناعة الإنشا - نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ب. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تحقيق إبراهيم الإبياري ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ /١٩٨٠١م .

المالكي : أبو بكر عبد ا بن محمد . ت بعد سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م .

رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، بيروت ، دار الغرب ، ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣م .

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي . ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م .

أ. اتعاظ الحنفا بأخبا رالإئمة الحنفا ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .

ب. السلوك ، في المكتبة العربية الصقلية .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . ت ٧٣٣هـ /١٣٣٣م.

نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة.

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م .

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

٢- **المراجع :**

إحسان عباس :

العرب في صقلية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م .

أحمد فؤاد باشا :

التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

حامد زيان :

تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية ، القاهرة ، دار الثقافة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

حسن حسني عبد الوهاب :

ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، تونس، مكتبة المنار ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

حسين مؤنس :

أدارسة صقلية (مقال ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي عشـر ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

الدوري تقي الدين عارف :

- دور صقلية في نقل التراث الطبي إلى أوروبا (مقال) مجلة المؤرخ العربي ، العدد التاسع والعشرون ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م بغداد.

- سقوط صقلية وانتهاء السيادة العربية عليها (مقال) مجلة أداب المستنصريه ببغداد ، العدد الثامن ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

روم لاندو :

الإسلام والعرب ، نقله إلى العربية منير البعلبكي ، بيروت ، دار العلـم للملاييـن ، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧م .

الزهراني :

علي بن محمد ، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية ، مكة ، مطبوعات جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ /١٩٩٦م .

زيغريد هونكه :

شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، وكمال دسـوقي ، بـيروت ، المكتب التجاري للطباعة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

د . سعيد عبد الفتاح عاشور :

أ. أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

ب. المدنية العربية وأثرها في الحضارة الأوروبية ، القاهرة ، دارالنهضة العربية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

سنتوردكب :

المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة محمد فتحي عثمان ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

سيديو :

تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، الطبعةالثانيـة ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

عبد الرحمن حميده :

أعلام الجغرافيين العرب ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م .

عزيز أحمد :

تاريخ صقلية ، ترجمة ، أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .

محمد الخطابي :

الطب والأطباء في الأندلس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
محمد كرد علي :
الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .
محمد مرسي :
الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
المدني أحمد توفيق :
المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
لويجي رينالدي :
المدنية العربية في الغرب ، (مقال) ترجمة طه أفندي ، مجلة المقتطف ، مجلد (٥٩) الجزء السادس ١٩٢١م .
الوزان الزياتي :
وصف إفريقيا ، ترجمة من الإيطالية إلى الفرنسية ، البولار ، وترجمه من الفرنسية إلى العربية ، عبد الرحمن حميده ، وراجعه علي عبد الواحد ، الرياض ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .